

النهضة الشرقية الحديثة

أظهر مظاهرها وابتقى آثارها

١ - رأي السيد محمد كرد علي

رئيس المجمع العلمي العربي بدمشق

لما وضع محمد علي الكبير أساس النهضة العربية في مصر، وادخل إليها العلوم المادية على اختلاف صنوفها، كانت الشام في آخر ادوار النور والقصور، ليس فيها شيء يقال له علم أو أدب، ما خلا بقايا شتيلة في بعض الجوامع والبج والاديار. ولما نضج العلماء والمترجمون وكثر الاطباء والمهندسون والحقوقيون في مصر، جاءت الشام بعض جميات التبشير بث مع مذاهبها الدينية شيناً من اللغات والعلوم المادية، ولم تقض ثلاثة عقود من السنين حتى اخذت مصر والشام لتساندان في بث المعارف، وبدأ انتشار العلوم المادية في القطرين بتياس واسع. مصر تنهضها حكومتها وفي رأسها آل محمد علي الكرام، والشام ينهضها الغرب لغرض الدين والسياسة، وكلما كانت شعرب النصرانية تهوي به بافتدائها الى القبر المقدس، او تحاول كل دولة تكثير سواد العارفين بلفتم ومذهبها، كان الشاسيون يستفيدون من هذه المنافسة خصوصاً في الباب الذي يسمونه بالتقدمين

ولقد كان هذا النور في الشام مقصوراً على المسيحيين أولاً، على نحو ما كان وفقاً على المسلمين دون المسيحيين في مصر، فلم يلبث المسلمون ان انشأوا في الشام مدارس ابتدائية ووسطى، بواسطة الحكومة أولاً ثم بوسائط الافراد، ومن تعلم العلم العالي منهم عمد الى مدارس الاستانة او الى مدارس الاجانب في الشام او في اوروبا. واحسن العراق بالنقص ولكن جاء متأخراً عن الشام لتلس الكمال. اما اليمن والنجاز وتيجد وسائر ديار العرب فقد ظلت في سبات الأ قليلاً، على ما كانت عليه وما زالت كذلك طرابلس وبرقة والمغرب الأقصى والادنى والايوسط

ويستثنى من ذلك القطر العراقي فإنه لا يدانيه قطر من الاقطار العربية، في قلة عدد الأميين وكثرة القارئين والكتاتيين في الجلمة. وكانت علوم الادب والدين عندم في معظم العصور مرفورة

نشأت صدور كثيرين من المتعلمين في الشام وتبرموا بكنها غلغ لهم الآ الهجوة الى مصر واسيركا، ومنهم من هاجر الى السودان، فانشر الشائرون في اقطار العالم انتشار النيقين في حوض البحر المتوسط قبل مئات من الاعوام. ورأينا بعد الحرب العامة العراق ثم احجاز ونجد واليمن تهب الى نفس العلم وتخرج في مدارس الشام، او في مدارس لها انشأتها في اقطارها وكثير من عليها ومديرها من الشائين- والشامون ما يرحوا منذ القرن الاول للهجرة دعاء علم ونقل وتشير. وهذا من الظواهر القرية فيهم، يهجرون ارضهم الجيلة الواسعة وينهضون بغيرهم ليدبوا عرفاً قليلاً. والشامون ما يرحوا منذ عرف تاريخهم ارباب اقدام على الارتحال لا يدعشون للنوى، ولا يفتأون مع هذا يذكرون موطنهم الاول

كان الذين يشدون شيتاً من الطبيعات والرياضيات قبل خمسين سنة يشار اليهم بالبيان واندر من الكبريت الاحمر. واليوم لا تجد في المدن والقرى في مصر والشام شاباً يحمل شهادة ثانوية او اولى الا وهو مشارك في بعض هذه العلوم مشاركة حسنة، علم الماما لا بأس به بالعلوم المعروفة بالعلوم «الانيسكلوبيدية». جرى هذا بعد ان نسلت القرون، والقوم لا يحرمون على شيء من العلم حرصهم على علوم الدين وما يلزم من علوم اللسان، وكان اذا نبغ فرد في الفلسفة او الفلك او العلم الطبيعي يهان ويؤذل، وربما اعتقل وقتل. ثم هذا بعد ان اضطهد الديون الديونيين اضطهاداً لا يشبهه ويضيق عليه الا اضطهاد رجال الكنيسة لرجال العلم في اوريا على عهد قرونها المظلمة

خذ الجزء الاول من المتنطف الذي صدر منذ خمسين سنة، واتل فيه اسماء من آزرروا في انشائه لا تجد فيهم غير مسلم واحد، وباقيهم مسيحيون او غرباء عن العربية تعلموها واخذوا يترنمون فيها. ثم قنن في اعطاف السنة الخامسة والمشرين من هذه المجلة تجد المسلمين دخلوا ميدان العلوم يشاركون اخوانهم الذين قرأوا في مدارس المسلمين ثم تعال واقرأ مجلد السنة الماضية تجد فيهم المسلمين اكثر عدداً وهم يخوضون عباب الابحاث المادية والادبية والاجتماعية خوض المتعلمين بهذه العلوم من الغربيين

اصبحت مصر بمعارفها ارقى من اسبانيا اليوم، ولا تقل كثيراً عن ايطاليا قبيل وحدتها، ولا تقصر عن المانيا وفرنسا اواخر القرن الثامن عشر، وهي اليوم في بعض العلوم كالرياضة والقضاء على مستوى ارق الممالك الغربية. وما نعت يد اوريا واميركا من تأليف النظم الاجتماعية ونشر العلوم المادية قروناً، اقتبس هذا الشرق العربي القريب

في حين قليلة ، بيد أنه لم يقدر ان يجاري اليان وان جالت هذه الى ساحة الحضارة بعد مصر . لان احوالاً خاصة صاعدت اليها وانما الاستقلال ، وبعدها عن تناكس اغراض دول الاستعمار . ومن كان زمام امره يبدو استطاع النهوض أكثر من المنقيد المقطور بغيره . ولولم يتم محمد علي الكبير قوسه المظومة وينزع يده من يد الدولة العثمانية ، لتأخرت النهضة قرناً آخر ، ولما استطاع الشاميون بعد حين ان يعاونوا قليلاً في نهوض مصر وبعض الامصار المجاورة . فاستقلال مصر بعض الشيء حفظ الثقة العربية من الدثور وكان من اثر ذلك ان نشغل مصر المحبوبة عامة العلوم المادية قبل غيرها ، وتنقلها الى لسان العرب فيخرج منها العالم العربي بالطب والقضاء والهندسة والسياسة وغير ذلك من العلوم الحديثة

ولولم تم هذه العلوم ، ويدرس الناس الغرب حتى دراسته ، لمقي الشعر والكتابة والخطابة ايضاً ترسفت في قيود القرون الماضية من عصور التدي . وربما ضاعت اللغة ، واللغة مفتاح سعادة الامة اذا فقدتها فكل شيء مفقود . فالعالم العربي مدين لمصر بأكثر اسباب نهضته ، بل ان العالم الاسلامي لولا كتب مصر لكان في تراجع ممت ، ولما مال الى هذا التقدم المستمر . واستناد العالم العربي ايضاً من كل قوة جاءت من طريق الشرق ومن طريق الغرب لانه كان وما يرح كالصلة والعائد بين المعروف من قارات الارض القديمة . ومن كان يظن ان ايران والهند وغيرها من الممالك طبعت ولا تزال تطبع مشات من كتب العرب والاسلام ، ومن كان يعتقد ان الغرب منذ أكثر من ثلاثة قرون يطبع كتب اسلافنا وينشرها لنفع العلم والمدنية . ووب سابع لقاعد

اثرت هذه المظاهر العلية في عمران هذه الاقطار تأثيراً حسناً ، وعلى نسبة اخذ القطر الواحد يحفظ من هذه المظاهر ، تنقلب حياته ومناهج التفكير في بنيه ، وما نراه مثلاً من تنظيم طرق الري وطرق الحديد وورق القضاء والزراعة والاشاء البيوت المالية الوطنية والشركات النافعة في مصر ، وما يظهر من هندسة البناء وبعض الصنائع الجيلة والصناعات الزراعية المهمة في الشام هومن آثار العلوم التي لنفعاها وتمشاتها وقامت بأيدي ابنائنا خاصة ذر بيوت المدن والقرى في مصر والشام وقارن بين مراقبها واساليب صحتها وحاشاها ولبوس أهلها وفرشهم وما كان لهم من ذلك منذ نصف قرن تجد التبدل محسوساً ملموساً . استمع اليوم لاحاديث الخاصة والعامة وقسها باحاديثهم منذ خمسين سنة ترا الارض بدلت غير الارض او كادت

ان زراعتنا اليوم غيرها بالاس ، وتجارتنا الآن غير تجارتنا البارحة . وهكذا قل في صنائعنا وعمالتنا الخرد وعمالتنا درابنا ، ونحن نح هذا نلوب عن النكال لنسترمواطين النقص والشعور بالنقص اول مراتب النكال ، كما ان الجهر بالقول اول محطة الى بلوغ لامل من العمل

ولا تنسَ مناظرتنا القومية والوطنية ، ومن امثل الامثلة فيها حملة الصحف في مصر تلك الحملة الشاموا على مستشار المعارف الانكليزي (دنلوب) لمحاولته إحلال اللغة الانكليزية محل اللغة العربية في مدارسها ، وتلك الحرب التي اثارها العرب على الترك باللسان والقلم ، يوم قام دعاة التتريك في السلطنة العثمانية بفتح نشر انقانون الاحاسي سنة ١٩٠٨ واحالوا لامانة العربية واحياء التركية في الولايات العربية

كل هذا كان بفضل ما دخل علينا من ضروب المعارف الجديدة ، واساليب التهذيب الحديث الذي اتزلنا بين اظهرنا على الرحب والسعة وتلظت شفافنا لتقبيل حياء الجيل اجيالاً وعصوراً

العالم كله سائر في طريق الماديات ، ولكن المنريات فينا غدت ايضاً على نسبة ذلك ، الا قليلاً من ضعف الاخلاق ، جاعنا من هذا التطور الجديد ، وهو يعالج اليوم بالطرق الناجعة ، ولا تخفي ثلاثون او اربعون سنة حتى تبدل هذه الهيئة ، وتنشط هذه الشعوب من عقالمها ، فتتلف شعباً واحداً نقل ثيئته الفوارق ، فيقاتلوا على دين القومية ، ويحموا حتى الجامعة العربية كما فاتلوا في القرون الماضية عن اديانهم ومذاهبهم ، وتاضلوا في الجاهلية عن احاسيهم وعصبياتهم

الصحف العربية العديدة التي بصدرها الشاميون في الاميركيين ، والحضارمة اهل حضرموت في جزائر جاده وصومطرا ، والدروس العربية التي يهودها الهنود والفرس بل معظم الجامعات في اوربا واميركا هي نتيجة حب العرب والعربية . والعربية تنتشر حتى في البلاد الغير العربية انتشاراً غرباً ، ولا يقصرها اليوم جمل اللغة العبرانية في فلسطين مثلاً لغة رسمية كاللغتين العربية والانكليزية ، فالعبرانية منتشرة في دائرة ضيقة ، وتبقى فلسطين بما اثنى فيها من مدارس جامعة ووسلى وابشداية لنشر العبرية ، الجزء المتحم للشام وحلقة الوصل بين القطرين الشقيقين . نبل عربية بمنازعتها ومناحيها ، ويكون شأن العبرية شأن التبطين في مصر ووالسربانية في الشام والجزيرة والعراق ، اي

لغة افراد معدودين لا تعددهم الى غيرهم . واللغات الميتة لا تحييها المراحل الصناعية الا الى اجل مذكور تقف عنده . والعبرة بالسواد الاعظم خصوصاً اذا صححت عزيمته ان يحيا حياة طيبة ، وتشجع افراد وجماعات بعقيدة الاقتداء بمن طابت لهم حياتهم يستنهم ، وجاهدوا في المجتمع البشري جهادهم فاورثهم عزة ومنعة

وغير النهضة كخير الثروات ما قام بايدي ابناءه ، وصار يسير القانون الطبيعي ، وبذلك ثبت ويدوم . ولا يبقى الا الاصح في عالم الكون والفساد . وكل ثورة اجتماعية او فكرية هي محصول الكتاب والكتاب . والعقل العربي الذي شاد في القديم قصر غمدان وسد مأرب ، وانشأ في الاسلام المدرستين النظامية والمستنصرية ، وحرر اقصى القدس وأموي دمشق ، وازهر مصر ونسطاطها ، وقصور الحراء والزهراء ، وبدائع قرطبة واشبيلية وطلبلطة وغرناطة وسدود بلنسية ، لا يستحيل عليه يوم يتحل هذه المدينة الحديثة حق التخل — على ان تكون محفوظة له مستحصاته ومقدساته — ان يعمل ما تبتهج به النفوس ، ويقال فيه لا عطر بعد عروس

العرب في عددهم أكثر من الدانيركيين او النلانديين بنحو خمسة وعشرين ضعفاً ، وتاريخهم ذاك التاريخ الباهر ، وآثار عقولهم في المدنية تلك الآثار ، وبلادهم باعتمادها وتوسطها وغناها معروفة موصوفة ، فإذا ينقصهم ليو سسوا دولة بالعلم تينة الدائم ، وهم اصحاب تلك السابغة الشائفة ؟ لا جرم انهم يبرزهم شيء من النظام والتنظيم وتسلل الفكر ونوجيه وجهتهم الى غاية الكمال والتخصص والتدقيق في كل ما ينقصهم من اصناف العلوم ، وما هو منهم بيميد دمشق محمد كرد علي

— ❦ —

٢ — رأي الامتاذ سامي الجريديني المحامي

في التاريخ نهضات كثيرة منها ما كان سياسياً نقل السلطة من يد الى اخرى ومنها ما كان اجتماعياً قضى على نظم مرووفة وتقاليد معبدة ومنها ما كان ادبياً غير نظام التفكير وفك العقل من قيوده

فهل عندنا في الشرق مثل هذه النهضة ؟ او بالاولى مثل هذه الثورات ؟ ولماذا نقول النهضة في «الشرق» ، اني لا احب هذا التعميم — فانهو الشرق ؟ ومن هم الشرقيون

ولماذا نسير وراء هذا التقسيم القديم لأعشى فنصل العالم إلى شرق وغرب
 قبل أن نأخذ طريقاً عالمياً ونأخذ العالم شيئاً لا يسمي شرقاً وغرباً، بل نرى أوروبا نفسها شرقاً
 غرباً ثم مصر مع أفريقيا في الجنوب لا في الشرق، بل أنت ترى أوروبا نفسها شرقاً
 إذا قيست بمسيرك
 لأنه خطر لقدماء الأغريق أن يسموا العالم إلى شرق وغرب يجب أن نسير نحن
 وراء هذه القسمة

إنها ليست على شيء من حقيقة الجغرافيا

وهل يصح أن نكون نحن شرقيين مثل اليابانيين والعسنيين وبُعْدنا عنهم جنساً وديناً
 وديناً بعد ما بين السماء والأرض، وهل يصح أن يكونوا أقرب إلينا منا إلى اليونان
 والبلغار والتليان وبيننا وبين هؤلاء ربط عديدة لا تجد ما بين الصين ومصر مثلاً
 أو تقصد إلى القول بأن النهضة في مصر ترمي إلى انهاض الحجاز والعراق وفلسطين
 وسوريا وتركيا وما إلى هذه البلدان التي تجمعها بها جامعة قديمة

الحقيقة أننا لا نغزو على القول بالقومية بعد، أننا لا نجح أن نقول ثورة مصرية
 أو ثورة سورية أو ثورة تركية فنعمم ونقول شرقية كأننا لم نعد بعد التفكير تفكيراً
 قومياً لحدائث عهدنا مثل هذا التفكير، اللهم إلا الاتراك فقد ساروا على غير ما نسير نحن
 عليهم ولعلمهم شدوا الرجال في سيرهم شدةً سريعةً قد لا يكون ممدوح العاقبة بعد ما بين
 الغرض الذي يرمون إليه وتاريخ عنصرهم المعروف، ولكنهم في نظري الشعب الشرقي
 الوحيد السائر إلى غاية محددة على طريق محددة—لذلك يصح لنا بحق أن نقول «نهضة
 تركية» فإنها ثورة سياسية واجتماعية تبيها لها ما يتبها لكل الثورات—زعمهم يقود راسماً
 إلى غرض وسير حيث إلى هذا الغرض وجهاد مع اجنبي انار فيهم روح القومية باستفزاز
 عواطفهم وهكذا سيل الشعوب في تكوير قوميتها، دح عنك ما على هذه النهضة من
 اعتماد ليس هنا محل البحث فيه

أما في ما سوى ذلك فإين النهضات في «الشرق» إذا سلطنا جدلاً بهذا التقسيم
 الذي يفصل العالم إلى شرق وغرب

نحن من الذين يستفدون أن الحضارة الغربية خير الحضارات التي يحسن علينا اقتباسها
 كما أننا من الذين ينظرون إلى الأمر الزايم لئلا نرى أنها هي الحضارة السائدة العالم ونحن

من الذين يعتقدون ان طريق نجاتنا في مسألة هذه الحضارة وتكييف حضارتنا عليها تكيفاً لا يناقضها بل يماشينا

ذلك ان التاريخ يقص علينا قصص اصطدام الشرق بالغرب منذ العصور الاولى حتى الساعة فما قص الأحدث اصطدام كانت نهايته انهزام الشرق امام الغرب — فالعاقلة من اعتبر وعرف ان يتلص طريقاً غير طريقه جربه نقاده الى مواطن الخطر ونحن من الذين يعتقدون انه لا بقاء لنا في معترك الحياة الدولية الا اذا كرمنا قوميّات شرقية مستقلة مثل القوميات الغربية. فكما انك لا تطمع في تكوين شركة تجارية او جمعية ادبية الا اذا عثرت على « شخصيات » مستقلة هي افراد الرجال كذلك لن نكون اهلًا لدخول المجتمع المتحدن ان لم تكن لنا شخصية صحيحة وهي القومية بما تعنيه هذه القومية من معان وما تعرضه من تبعات وحقوق

فليست الحضارة الغربية لئاما يرتدى او لغة يرطن بها بل هي اساس عميق للحرية: حرية الفكر والقول والعمل، وبناء شامخ للنظام: النظام القائم على هذه الحرية قبل عملنا على اقتباس هذه المدنية ؟

انني رغم ما بي من التشاؤم عندما ادرس تاريخنا القديم وعند ما انظر الى حاضرتنا اني رغم ذلك اظن اننا وقد احتككنا مكرهين بالغرب — قد بدأنا نشور ثورة فكرية لا بأس بها

فالتفكير الحر اساس كل نهضة سياسية كانت ام اجتماعية. ولا نل عما يؤدى اليه هذا التفكير. لا دعه يسر. فهو يقاوم ويقاوم وتضطدم حريته بحريات اخرى وهكذا الى ان يتم النصر للتفكير الصحيح

فما لا شك فيه ان جرثومة التفكير الحر بدأت في مصر وفي سوريا منذ نصف وخمسين عاماً — بدأت بكتاب فكروا تفكيراً حراً صدم ما في الجماهير من عقيدة موروثية فوقتوا في سبيلها ولكن الفكرة نمت فجاءت يقوم قاوموا استبداد الحكام في عز جيوشهم البلاغي ووقفوا في وجه رجال الدين ينعون عليهم جيلهم فما زالت حتى زحزحت ما كان لنودهم من مقام

على ان التفكير الحر في مصر وسوريا لم تلح له عوامل سياسية تساعد فقد كان اختلاف الحكام في اوربا وتضارب مطالبهم السياسية مما جعل بعضهم ينصر لوثري واصلاحه وبعضهم يشجع الموجهين وبعضهم يحمي فولتير وهكذا وجد

المفكرون الاحرار الفقراء من يأخذ بايديهم حتى غير قصد نثاروا يحملون شعلته فكروهم الى ان حرقوا الحشيم القديم

اما عندنا فقد اتفق فيما مضى الجمهور مع حكامه المستبدين فكانوا يقاومون كل تفكير حر ابغوا ظهر

ولكنهم رغم هذا ظلوا حياً رها قد بدت طلائعهم تظهر ظهوراً لم نعهد من قبل فهل يتم لهم النصر او يظلوا محصوراً في دائرة ضيقة كما كان في الماضي فلا ينجو ولا يعيش . لا اعلم

ان تاريخ اضطهاد التفكير الحر لتاريخ عديد . ومجده تاج يليه كل هؤلاء الذين اضطهدوا وعذبوا وحرقوا وسجنوا في سبيل تفكيرهم

وها قد ذهب الآمرون بالعذيب والناهون عن الحرية ولم يبق الا ذكرى الابطال — ابطال المفكرين تنكيراً حرّاً

فان نحن اجتزنا العقبة وصبرنا السبيل كما عبره اسلافنا المفكرون الاحرار غير مباليين بما نلاقه من اضطهاد او عقاب فاننا نكون حقاً قد وضعنا الاساس المتين ونكون قدمهنا الى نهضة اجتماعية وسياسية تأتي باسرع مما نظن فندبراً مكاننا في مجتمع الحضارة الصحيح فالحرية اساس كل بناء في حضارة جديدة بان تعيش . فاذا قام شعب بنهضة سياسية لا تكون الحرية اساساً فيها فلن تكون تلك النهضة الاً قلقاً غايته التخلص من نير الى نير وتقللاً للعزم من يد الى يد اخرى — وهذا ما نؤذ بالله منه

سامي الجريدي

مصر القاهرة



٣ — تمة رأي الامير شكيب ارسلان

طلب العلم في الغرب

تمت هذه الرقعة الشرقية في تعلم اللغات الاوربية والفنون الغربية فيجد الرقا في سورية يشككون بالفرنسية والانكليزية والوقا يشككون بهما في مصر . وتجهد في باريس ولندن وبرلين وسويسرة وفيينا ورومة والوقا من الشرقيين يحصلون مختلف العلوم ويعلمون الصناعات . ولما كنت رئيس النادي الشرقي في برلين كان عندي مشتركون من الطلبة المصريين نحو مائة وعلمت ان المصريين الذين يطلبون العلم في الجامعات الالمانية يباينون

٤٠٠ ومن المصريين مشون آخر يطلبون العلم في لندن وباريز ورومة وقينا وجنيف ولوزان
واما السوريين والعراقيون فبنهم في ثمانيا نحو المائة وضمف ذلك في قرنا وعشرات في
بلاد الانكليز وعشرات في سويسرة

نهضة اللغة العربية

هذا واما اللغة العربية العزيزة فقد طارت في هذه الخمسين سنة يجتاحين وخطها عادت
الى جلالها الماضي وعجيجتها القديمة . فكثير سواد الكتاب والشراء حتى صاروا يحصون
بالمئات ان لم يكن بالالوف . ونبع منهم غول يمكن الانسان ان يلزم في صفوف المشين
والشراء من اهل القرون الاولى للاسلام عند ما كانت اللغة في ابان سورتها . فلا تنظر
في جريدة الا تجد فيها من النظم الفائق والنثر الرائق لشبان لم تسع في عمره بامائهم ،
هذا عدا المفلقين والعقريين الذين سارت بذكهم الركبان . ولم يكن منذ خمسين سنة
بمصر والشام والعراق مشار العدد الذي تجده في يوم الناس هذا من هذه الطبقة .
وكان اذا نبغ شاعر او بوع كاتب لذلك العهد ضرب اليه المثل لتقرؤه وندور من ياريد
في صناعتهم فلم تشرته اليوم من قبره وعرضته في الجمع لوجدت من امثاله كثيراً وان
كانت لا تزال له طلاوة فيكون في صف المجيدين لا في صف البقريين . واحسن من
هذا ان الكتابة لم تقدم في فصاحة الجمل وتنقيح العبارات خصب بل علت بأسلوبها
الحكيم وتنبعت بالمعاني التي اوجدتها حركة العلم الحديثة فبدلت الصناعة اللغوية والسجع
القديم بالسحة العلمية والانشاء المرسل

وقد كثر في التطوين الاساندة في علم الحقوق ونبع منهم من بطاول الحامين
الاوربيين في انان المهنة ولكنهم بمصر اكثر منهم بالشام لما في مصر من استعمار العمران
الذي ليس في الشام كما ان خريجي الهندسة بمصر اكثر جدًا منهم في سورية وذلك
بسبب ان الزراعة في مصر ارق جدًا منها في سورية

واما الطب فحبك ان الدولة العثمانية اخذت لجيشها في الحرب الكبرى مائتي طبيب
ذي شهادة من جبل لبنان فقط هذا عدا من بقي منهم في البلاد . وتري كثيراً من
خريجي مدارس الطب في سورية ومن السوريين الخريجين في مكاتب الطب في الاصاغة
واوربا يتماطون صحتهم في مصر والسودان والعراق وغيرها . وبالاجمال الطب فن
لا يقتصر فيه الشرقيون عن التربين فكان هندم فيه ملكة فطرية ورثوها من اوائلهم

هجرة السوريين الى اميركا

ومن اهم مظاهر النهضة الشرقية العربية المهاجرة التي قام بها السوريون الى اميركا واستراليا وجزائر البحر المحيط وافريقية فصريرا في سناكب هذه القارات المتناثية ولم تكذب تخفى عنهم منها زاوية وكانوا ابنا حنوا يتزودون سوامهم ويحدث اهل تلك البلاد التي تزلوا بها بنمط ذكائهم وحسن قيامهم على العمل . ولما كانت الجرائد من احسن المقاييس للرقى نقول ان في الاميركيين الشمالي والجنوبية نحو ٣٠ جريدة ومجلة بهذا اللسان العربي المين وان في الجالية السورية هناك من الكتاب والشعراء والادباء والاطباء والفلاسفة تقرأ تفقر بهم اوطانهم . وترى هذه الجاليات في وسط هائيك الامم العديدة اثبة بجزائر عربية في اوقيانوس ام غربية قد احتفظت تلك الجزائر بلفتها وآدابها واذواقها وهذا يرمان الاصاله والنبالة وعلم الهة فان الذي يجعل يوطنهم وقومهم ليس بالسان . وقد اسس السوريون في البرازيل مدارس خاصة بهم يطمون فيها اولادهم اللسان العربي والآداب العربية اشفافا على جنسيتهم ان تذوب في غيرها . وحيثما لواقتدى بجالية البرازيل سائر الجالية العربية في اميركا

ازدياد الثروة

ولقد كان من ثمرات هذه المهاجرة ان تسرب الى سورية اموال لا عهد لها بها فارقت اثمان الاراضي ارتقاء زائدا في جميع انحاء سورية واصبح ما كان يسادي من الارض عشرة جنيهات يرتفع في عشر سنين الى مائتين وثلاثمائة جنيه فاكثرو . وظن بعضهم ان ارتفاع اثمان الاراضي هذا ناشئ عن وجود اليهود الصهيونيين في فلسطين وسفالاتهم في شراء الاراضي وهو رأي لا يوجد امرق منه في الوم اذ ان الاراضي في سورية الشمالية حلب وانطاكية وحماة وحمص واللاذقية وفي سورية الوسطى دمشق وحموران وجبل لبنان وطرابلس وبلاد بشارة قد ارتفعت اثمانها كما ارتفعت في فلسطين واكثر . فالاصح في ارتفاع اثمان الاملاك هو ما يأتي : امتداد السكك الحديدية التي لم تكن من قبل فصار يمكن اصدار القلات الى الخارج . ثانيا ارتفاع اسعار كثير من الخاصلات بزيادة المقطوعية العامة . ثالثا دَرَ اختلاف المهاجرة بالاموال الطائلة . وكان من نتائج المهاجرة ان المهاجرين بعد ان شاهدوا في المهجر ما شاهدوه من المدنية الباهرة والزخرف الآخذ بالابصار والبنيان الشايع صارت تأفف نفوسهم من الإقامة في تلك المساكن الحقيرة والاعشاش التي درجوا منها فلما رجعوا الى الاوطان بذلوا قسماً كبيراً

من الاموال التي اقترفوها في تشييد منازل ابنة رجة ضاربة في العلو وفي تزويجها بالمفروشات النيسة فجرى انقلاب عظيم في المساكن وفي نوع المعيشة وصارت القرية التي كنت لا تراها من قبل الآن بعد ان تصير فيها من شدة اطمئنانها وحطتها اذا دخلت فيها اليوم فثقتها 'مر' من رأي' لعمد بني العياس. وكيفما انقلبت لاسيما في القرى والساكن التي كانت معروفة بمخافتها لا ترى الآن قصوراً مبردة وصروحاً مشيدة

مجرة الحضارة

وان في العرب جيلاً لا ينوquem السور يوت في الاقدام على المهاجرة ولا في ترك الآثار الباقية حيث اتهموا ألا وهم الحضارة . وليست نهضة أهل حضرموت للمهاجرة وقطع البحار شيئاً جديداً بدأ منذ خمسين سنة او مائة سنة بل هم اشبه الامم بالفينيقيين — والفينيقيون اصلهم من جزيرة العرب — هبوا من على عتق الدهر فارتادوا سواحل الحبشة والصومال وزنجبار والهند والجزر التي في تلك البحار وأثروا الآثار وسادوا الاقوام وهذا كان في الجاهلية فلما ظهر الاسلام حملوا الى تلك الاقاصي الحضارة العربية والشرعية الاسلامية واليك شذرة من فصل عن أهل حضرموت نشره في مجلة الزهراء اخيراً

الاستاذ السيد محمد بن عتيق من نخبة فضلاء جزيرة العرب قال :

« لم تزل الهجرة من دأب الحضريين منذ عرفهم التاريخ وقد ملأوا سواحل الصومال وغيرها من شمال افريقية في سابق العصور قبل الاسلام وبعده. وطالما انتشرت جالياتهم في العراق ومصر والسودان والاندلس (الادام ابن خلدون صاحب التاريخ كان حضرياً) وغيرها بعد انتفخ الاسلامي فكان لما ذكر واثر لا ينسى. ولشاطرهم في الاسفار وشغفهم بالتجارة واعتمادهم على الكسب من البلاد البعيدة توغلوا في افريقية فاسلم بدعوتهم من اسلم من الحبشة والصومال وشرقي افريقية الى رأس الرجاء الصالح ومن في الجزائر التي يجوار تلك السواحل مثل ماداغسكار وجزائر القمر وكذا ايضاً جل من اسلم من سكان الشطر الجنوبي من الهند ومثلها الشرقية منها وبعض من في داخلية تلك الاقطار ومن في برما وسيام وموسطرة وجاوه وفيلبين » الى ان يقول « وقد صار للحضارة هناك عن كبير وثروة واسع النطاق وثرثرة ظائلة وامارات متعددة ولم يزل الى الآن يدم من ذلك شيء له قدر ان يحفظوه »

اشار السيد الحضري بذلك الى ان نفوذ الحضارة غلبت عليه الدول الاوربية المستعمرة كالانكليز في زنجبار والصومال وكالالمان في دار السلام وكالفرنسيين في

ماد أغسكو وجزائر القمر وكالهلولاند بين في جازر وسومطره وهلم جرماً . ولذلك يصح ان نقول ان بسطة العرب هناك في غيضى لا في فيض . على ان التهم قرى دقت في سلطنة عثمان اكثر مما وقعت بحضرموت فقد كانت هذه السلطنة منذ مائة سنة تملكت مائة بارجة حرية وكانت اقوى دولة بحرية بعد انكلترا في بحر الهند فانحطت اليوم الى اماره بسيطة لا شأن بذكرها . ولكن همه الحضارمة في الاسفار والعاليين في ركوب البحار لم تنتر . ولاهل جزيرة البحرين والسواحل العربية في خليج فارس همه القمصاء والاقسام العظيم في القمص على المزلو ويقدر الداخل منه كل سنة للقرايين واصحاب رؤوس الاموال الذين ينفقون على المخاص بنحو مليوني جنيه

ارتقاء الزراعة

ونعود الى مصر والشام والعراق فنقول انه لا مشاحة في كون الزراعة قد تزقت بمصر ترقياً جعلها البلاد الزراعية الاولى في الشرق الادنى . ولا نبالغ اذا قلنا انها من الطبقة الاولى في الزراعة في المعمور كما قد تلاحظ في رقي زراعة وادي النيل الطبيعية مع الصناعة واما سورية والعراق فالترقى الزراعي فيها لا يزال ضئيلاً بطيئاً وان استعمال المحارث الجديدة على البخار والكهرباء وآلات الحصاد والدراس لا يزال نادراً في بلادنا الا في المزارع الصهيونية في فلسطين . ومن الغريب ان الماكينات الزراعية الحديثة نشأ استعمالها في بلاد اطمه من تركيا وبيجارها السوريون ينظرون الى ذلك وينظرون الى الصيونيين بفلسطين ولا يحمسون ولا يعدلون عن المحارث القديمة والحصاد باليد والتخدية باليد مع ان الفرق بين القديم والجديد من جهة القوة قد يبلغ النصف ومع هذا التخلف كله في استخدام الادوات الجديدة الا نادراً تجد الحاصلات قد

تضاعفت بصورة مدعشة فقد استعملت قبل الحرب العامة عن معدل زيادة الاعشار التي تجبوها الحكومة فنظر لي ان اللوا الواحد كلوا نابلس او عكا مثلاً كان قبل بعشر سنوات يرفع منه ٦٠ الف جنيه سنوياً من الاعشار فاصبح يرفع منه ٢٠٠ الف جنيه . وهذه الزيادة كلها في مدة عشر سنوات . فكيف لو احتسب السوريون بزراعتهم اعتناء المصرين . وما لا يزال وباللاسف مهملات في سورية والعراق امر الري بواسطة الآلات الرافعة مع وجود انهر كدجلة والفرات والعاصي والشرقية كانت مياهها بواسطة المحركات البخارية تروي كل ما في البلاد من المعاش والمجادب وكاد ينتفي الجمل تقريباً . فالانهر جارية والارضون تشرق ظلماً كالسيف في اليباء يقتلها العطش وقرب الماء لفرق ظهورها

الأ أن العراق نهض في هذه السنوات الأخيرة بعد الحرب نهضة تذكر في الزراعة وكثرت على خفاف دجلة الآلات التجارية الرافعة وازداد دخل الأراضي ازدياداً مطرداً سنة ف سنة وسيكون للعراق مستقبل زراعي باهر لامرأ فيه وتكون الرقعة الزراعية التي في مصر

المصناعة

وأما الصناعة فلا تزال في الشرق الأدنى قاصرة عن غيرها وأكثر ما يدخل إلى بلادنا من المصنوعات هو من أوروبا والسبب في ذلك عجز الأهالي عن مضارعة الأوربيين وعدم الفهم تأسيس الشركات التجارية حتى اليوم . والتأخر لا يمتد بـ . ولا تزال في البلاد صناعات شرقية موروثة كلها تعتمد على عمل اليد أشهرها المنسوجات الحريرية والقطنية التي لها أنوال عديدة في دمشق وحلب وجبل لبنان والبسط في صافيا وغيره . وقد ضعفت هذه الصناعات عن ذي قبل بمزاوجة أوروبا لنا في المنسوجات ولكنها لم تدرس تماماً والله الحمد بسبب تقوُّبها على المنسوجات الأوروبية في المتانة والنية واللطافة وكون أكثر الأهالي المحافظين على الزي الشرقي يعتمدون عليها في اللبس والمفرش . وفي مصر الحالة بينها واطن العراق كذلك . وقد وفق اللبنانيون للعامل الحريرية لا لنسج الأثواب بل لحلّ الغيالج (الشرائق) وإرسال حريرها إلى أوروبا ولكنهم لم يقدروا أن يستقوا عن ليون كما أن مصر لم تقدر في القطن أن تستقل من مانشستر

التجارة

أما التجارة فهي خاصة الدوربين . ومصرية منذ دعى الله هذه الكرة مرة قوافل ومسرب متاجر من الشرق إلى الغرب ومن الشمال إلى الجنوب وبالعكس . وم من اقوم الناس على التجارة يمتازون بها على غيرهم . وقد كان للتبنيين في التجارة المكان الذي لا يزال يذكره لم التاريخ وملأوا طباق الأرض مستودعات ومراكز . كما أن العرب أمة يطرئها متجرة مسافر مولمة بالسيار وخوض البحار . ولقد كانت سورية قبل الحرب العامة تترق في تجارتها يرغم الموانع السياسية والامتيازات الأجنبية . ولكنها منذ الحرب العامة إلى اليوم في تدهور مستمر من هذه الجهة . وكيف يرجى نهوضها وقد انسلخت من الاناضول وانقطعت عن العراق وانخرمت عرونها عن نجد والحجاز بل عن فلسطين التي هي الجزء الجنوبي منها فعلى من لتاجر سورية بعد اليوم ؟ يشكون من المرفق الذي يحصل لسورية من تبيد البارات بينها وبين العراق . وحيث أن يند بذلك هذا الشغور في صلاتها التجارية . فسورية فيما يأتي لا نهض تجارتها إلا بالتحاد على الأقل اقتصادي

بينها وبين العراق وفجده، خيماز وفلسطين . ولقد جاءت الثورة الاخيرة ضعفاً على اباللة قاذودات حركة الاخذ والنطاء فوقوا . ومن قبل الثورة كان معدل العادرات عن سورية لا يوازي ثلث الواردات

النهضة السياسية

ولما نهض الرقي عندنا في العلوم والفنات والاقتصاديات بل تجاوز الى السياسة والامور الاجتماعية فاصبح كثيرون ممن كانوا يهزأون بخدمة المصالح الوطنية العامة والمفاداة من اجلها ويرون الدماء كره في التعزف الى الكبار والاقوياء ومداراة الوقت مضطرين اليوم الى الاعتراف بوجدها وباهميتها والى احترام المتفرغين لها الناشحين عنها . وقد انبثت فكرة الاستقلال الوطني في الطبقات كلها بعد ظهور الناشئة الجديدة سواء عصر او بالنام او بالعراق حتى صار لا يجرؤ احد بمخالفتها جهراً خشية ان يسقط من نظر الامة او ان تبطش العامة به . مع انه من سنوات فلال كان كثيرون من وجهاء البلاد يتزلفون الى مثلي الممالك الاجنبية متحين امامهم خذوق اعلامهم فوق ربوع المشرق وقد كانوا يلتمسون ذلك رسمياً ولا ينجحون به لان فكرة الاستقلال السياسي الوطني والنهضة القومية كانت عند اهل بلادنا اشبه بايماضات برق من افق بعيد او خيالات مهوم بين النوم واليقظة . وكان سبب النهضة من الاوربي هو اختلاف الدين فقط كما ان تمحي ولايتو هو عند اتفاق الدين . ولا نقول ان هذه النهضة الدينية لم يبق لها اثر وان النهضة الوطنية اصبحت هي السائدة دون غيرها . لكننا نقول ان الفارق الديني لم يعد هو وحده المتصرف باهواء النفوس بل جدت فكرة وطنية ترمي الى استقلال كل قطر بنفسه وادارته اموره بيده واخذت هذه المبادئ تكون عمدة الجميع وان شذء عنها شذء لم يحسروا ان ينهضوا مبدأ الاستقلال فاما يقولون بوجوب مراقبة اوربية الى اجل مسمى الى ان تكون غرمت الامة وتأثت فيها النظام والانظام

الثورة السورية

فالثورة السورية هذه المرة تختلف عن كل ما سبقها من الثورات اذ الثورات التي كانت تقع في زمن الترك لم تكن منها واحدة مبنية على نزع قومية بل كانت الصاكر التركية تزحف الى جبل الدروز وهم عرب قراقرها قلوب اهالي سورية وهم مثلهم عرب . ولا يتزع عرق العربية يومئذ باحد . وكان الدروز من جبهتهم لا يشعرون لان الدولة تركية بل اماً لانهم يريدون التخلص من دفع ضرائب او ضرامات ضررتها عليهم اولانهم

بطشوا ببعض جيرانهم فارادت الدولة ان تردبهم فقاموا يدفعون العساكر انزاحية لمهمة التأديب . بخلاف الثورة الخاضعة التي هي ثورة وطنية قومية صرفة ليس لها غاية سوى تحرير الوطن من رقة الحكم الاجنبي وان لا تملو على العرب في اوطانهم يذ لا اورية ولا تركية ولو زحف الترك على سورية مكان الفرنسيين للقوا المقاومة نفسها . وان القائمين بالثورة هم المنكرون والادباء والمخرجون بالشهادات من مدارس باريز وقد التفت بها عدد من الطلبة الذين لا يزالون في المدارس ولم يتقوا تحصيلهم . وقد كانت العرب البادية والدروز والمشاير اهل السنان والعتنان هم الذين يشرون دون اهل القرى والمدن فعصر اليوم اهل دمشق وامل غرطة دمشق الذين لم يكونوا يعرفون الا تقليب المزج والمحرفة يقلبون البنادق وانكرات اليدوية المحشوة بالديناميت ويجمعون على نيران المدافع مستبشرين مستبشرين . لا جرم ان هذا انقلاب عظيم . وشهد هذا القروي يقول : لا نرمي السلاح الا عند استقلال الوطن . وبالاختصار ترى الامة العربية كلها من اطراف حلب شم الا الى عدن وحضرموت جنوباً ومن البحرين المتوسط والاحمر غرباً الى البحرين وخليج فارس والاهواز والبلخانية شرقاً لتخضع محاصراً شديداً الى الاستقلال التام عن كل دولة اجنبية أية كانت وقد دب ديب هذا الاحساس في خاصيتها وعامتيا ووقعت نصب نواظرها الاستقلال والوحدة على شكل خافي يكفل لكل مملكة ولكل امانة استقلالها الداخلي مع تعيين الحدود بينها وبين جاراتها وبضمن الوحدة في المكوس والبريد والتلفراف والامور الخارجية والجيش . هذه الفكرة العالية سارت بين العرب باجمعهم في هذه السنوات الثمان التي عفت الحرب مالم تسره في ثمانية قرون من قبل . والفكر من العرب واثقون يانه لا بد من تحقيق هذه الفكرة عاجلاً او آجلاً بواسطة المدارس والجرائد والاندية والجمعيات والكتك الحديدية والبواخر والسيارات والطيارات وكل ما يقرب بين الابتكار والاقطار . وقد نظروا الى مثال لهذا الاتحاد العربي الخلق في الامبراطورية الالمانية كما كانت قبل الحرب او في شكل سويسرة او شكل الولايات المتحدة الامريكية . وكيف كانت الشكل قبدأ الاتحاد العربي متفق عليه ولم يخف هذا الاستعداد على الدول الغربية الطامعة فقد بدأت هذه الدول تفهم أن ارض العرب صارت غير صالحة لنبات الاستعمار . وبهذا من انواع النهضة كفاية

شكيب ارسلان

نوزان